إدريس عامر

خِداعٌ وأَوهامٌ

2025

خِداعٌ وأَوهامٌ

إدريس عامر

مجموعة قصصية

تنويه

الملكية الفكرية محفوظة للمؤلف، والمكتبة غير مسؤولة عن أفكاره.

وينص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على أنه "لكل شخص حق المشاركة الحرة في حياة المجتمع الثقافية، وفي الاستمتاع بالفنون، والإسهام في التقدم العلمي وفي الفوائد التي تنجم عنه. لكل شخص حق في حماية المصالح المعنوية والمادية المترتِّبة على أيِّ إنتاج علمي أو أدبي أو فنِّي من صنعه".

إهداء

إِلى كلِ متأملٍ ما زال يحترمُ نفسَه

ويثق بها في مجتمعٍ فاقدٍ لوعيهِ.

مُقدمةٌ

أليس كل موهوم مخدوعا؟ أو بصياغة أخرى: هل يرتبط الخداع بالوهم دائما؟ في رأيي، نعم لا يمكن فصل الوهم عن الخداع، مثلما لا يمكن فصل الحقيقة عن الصدق. يُخدع الإنسان بكيفيات عديدة ومتنوعة، وفي جميع الحالات يكون خادعا ومخدوعا في آن واحد؛ فمن يخدعه الآخرون يكون في الحقيقة مخادِعا لنفسه، ومن يخدع الآخرين يظل في الجوهر مخدوعا من عقله. هذا ما ستلامسه مجموعتي القصصية جلها، وأبرز إشارة لذلك: قصة "توفيق الخداع" التي افتتحت بها عوالمي التسعة، وهي لم توحَ إلي من الخيال أبدا، بل سحبتها بقوة من روح الواقع الفردي

والاجتماعي؛ وأكثر من ذلك، فقصة "خدعت نفسي" هي اعتراف حقيقي من شخص حقيقي، لم أداعبها بقلمي إلا فيما هو فني خالص، بحيث لم تشب جوهر القصة شائبة، وإنما عكس ذلك، تعمقت في بعدها السيكولوجي دون إغفال رسالتها الحقيقية الموجهة إلى القارئ .

في كل عالم من عوالمي التسعة رسالة أو حتى رسائل، أرجو من القراء التقاطها، سواء على هيئة تساؤل فلسفي، أو نقد اجتماعي، أو رسالة ساخرة دون أن ننسى أن في عمق كل نقد وسخرية تقبع أسئلة عميقة محيرة! فهيّا بنا ننطلق ونتساءل، فالفلسفة سؤال، والإنسان كائن متسائل في جوهره؛ ولهذا ستظل الفلسفة دوما متجذرة في لب الإنسان.

تَوفيق الخَداع

توفيق الخدّاع، إجازة في الفلسفة، وأخرى في علم الاجتماع. طويل القامة، نحيف الوجه، وفي عينيه خبث وفطنة، يعتني بجسده وملبسه على حساب أشياء أخرى تقبع في الظلام. لماذا؟ لأن الفرق واضح بين ما يُرى وما لا يُرى. هكذا يقول في نفسه دائما.

وصاحبنا المُجاز يعمل أستاذا لمادة الفلسفة، ويحرص كل صباح على كتابة البسملة على السبورة، تحسبا لدخول المفتش أو المدير، أو حتى ما جاوره من الأساتذة. وفي آخر الأسبوع وبالتحديد صباح يوم السبت، كانت له حصة مع تلاميذ الباكلوريوس، دخل القسم وملامح وجهه صارمة، لا ابتسامة ولا حتى بشاشة خافتة، حينها عمّ الصمت أرجاء القسم، لكن تلميذا ما فتئ يهمس لصديقه: هيبيه معاذ! انظر إلى الأستاذ دون أن

تضحك ههه، وما بادر معاذ برفع عينيه نحو الأستاذ حتى انفجر ضاحكا، توفيق في غضب: هيييه هيييه ما هذا، أنت مجلس تأديبي. معاذ في خوف: لما.. لماذا؟ ولم يشعر توفيق بنفسه حتى وجد يده قد لطمت وجه التلميذ. ومنذ ذلك اليوم لم يعد تلميذ يتجرأ عليه. يدخل القسم، ويلقي الدرس إملائيا، ثم يخرج في آخر الحصة خروج جندي نجا بنفسه من هجمة العدو. كانت حصة التدريس تمثل له كابوسا يحلم به ليلا ويعيشه بالنهار. وأستاذنا متزوج وله ابنتان، وفي قرارة نفسه يتمنى لو حُذفت تلك التاء بين النون والألف (ابنتان)، تكرهه زوجته وابنتاه، لكن يضطرن أن ينافقنه، كما يفعل هو مع من هم أعلى منه، وأشد ما يخشى أستاذنا المُحترَم ألّا يُحترم؛ لأنه هش من الداخل، ويعرف يقينا أنه غير جدير بالاحترام، لذلك كاد أن يكسر يد زوجته حينما وصفته بالكذاب ذات يوم، إنه بالفعل كذاب وخائن وراشي ومرتشي، وأخبث من أخبث شخص وطأت قدماه هذه الأرض السعيدة، لكنّ الأهم ألّا يعرف ذلك الآخرون، إنه يبرر ما يفعل بعدة

حجج: الدولة مبنية على الزبونية، كن ذئبا أو كن خروفا، يغفر الله الذنوب جميعا إلا أن يشرك به.

وفي المؤسسة التي يُدرس فيها توفيق، يوجد الأستاذ وسيم، أستاذ فلسفة هو الأخر، لا يمكن أن تلمحه في الساحة أو على الشرفة إلا وتلميذ أو أكثر برفقته، وكانت حصصه مع تلاميذه يعمها الحماس والنشاط، يعتبره التلاميذ قدوة والتلميذات فارس أحلام. وأهم ما في الأمر أنه الوحيد في المؤسسة الذي كان يعرف حقيقة توفيق الخدّاع؛ لأنه درس معه في سلك الإجازة في التربية واجتاز معه مباراة التوظيف، ورآه بأم عينيه يغش في الامتحانات، وسمعه بأم أذنيه يقول أنّ حال الدولة يحتاج منّا أن نكون منافقين لئلا ينبذنا مجتمع المظاهر والسطحيات. وقد كان توفيق يكره اليوم الذي يلتقي فيه وسيم؛ لأنه كان مرآة تعكس قبحَه، وواقعا يعارض فلسفته الحياتية، حينما يراه محاطا بالتلاميذ، وحينما يسمع أصواتهم الشغوفة من قسمه، كانت تتهدم كل الأسس التي بنى

عليها حياته المريضة بخداع الذات ونفاق المجتمع، والخالية من الحب والفرح والشغف وكل مقومات الحياة الإنسانية السعيدة.

كل هذه الرؤى كانت توقد قلبه بنار الحقد والحسد، ولم يعد يتحمل رؤيته، لا هو ولا تلاميذته، كما كان يلعن اليوم الذي يُمدح فيه على لسان المدير أو الأساتذة أو حتى الحراس، وحينما انتهت السنة قدّم طلبا لتغيير المؤسسة، دون أن يتجرأ على تغييرٍ ولو بسيط داخل مؤسّسته الداخلية التي تفوح منها رائحة العفن الكاسرة.

وهمٌ وواقعٌ

متكئ على أريكته، ساقٌ على ساقٍ، إمبراطور غلبان في بيت ضيق ذي سقف منحدر، في ملامحه حماس غريب، وهو يراسل حبيبته على واتساب: العام القادم، أريد خطبتك، الآن لست مؤهلا وإن جئت أباك طالبا راغبا فيك، حتما سيضربني بنبرة وكلمات وضحكة قاتلة، أنا لا أريد حتى أن أتخيل ذلك، لكن السنة القادمة، سأكون مؤهلا للظفر بك يا جميلتي، ولن يتردد أبوك في قبولي، سيحبني، أنت تدركين أنني أدخل قلوب الناس، كما يدخلها القطقوط النغنوغ ذو العينين البريئتين.

كتب صاحبنا الرسالة وأرسلها بسرعة، وأغلق هاتفه، ليضع ذراعيه خلف رأسه، كانت وضعية فريدة للتأمل في حياته، وها هو يدور بعينيه الصغيرتين في زوايا غرفته، حيطان مهجورة الطلاء، وأرضية سميدية تنثر الغبار في كل مكان، وسقف منحدر انحدارا يبعث على الضيق والغم، مقلاة متكئة أمام إبريق وكأس في قلبه

ملعقة وسكين، هذا كل ما لديه إلى جانب حقيبة ملابسه، ومائدة مدورة، وأريكته التي أخرجت أحشاءها لفرط ما استُعملت، هذه هي غرفته التي يستأجرها بثلاثين مئة درهم للشهر الواحد، وذلك هو حلم السنين مجسدا في رسالة إلى حبيبته عبر واتساب، وأما هو فلا عمل له إلا البحث عن عمل، لم يكمل دراسته، ولم يحتمل البقاء مع أسرته حيث أصبح عبئا ثقيلا، لا فائدة من ورائه، كان يدرك أنه في بلد نامية، وأن البطالة طيف يلازم حتى المُجازين، فما البال بمن لم يُحصل حتى شهادة البكالوريا، كان يفكر في وضعه الاجتماعي وفي وضع الدولة وفي الأب الذي لن يسمح لابنته أن تتزوج من لا يملك شيئا إلا مشاعرا لا تُشبع بطنا ولا تُرغد عيشا.

وبعد كل هذا التفكير ضحك ساخرا من رسالته وقال مخاطبا نفسه: ولمَ لا أحلم؟ ثم فتح هاتفه ليجد حبيبته قد حظرته تاركة رسالة وصورة، وفي الرسالة كتبت له: لقد طلب يدي شاب يقطن في الجنة، وسيأخذني معه بعد الزواج، كان عمليا ومباشرا، أما أنت يا حبيبي، فكل سنة تقول لي السنة القادمة، وها هي ولله الحمد

قدمت إلي من جنة كاليفورنيا، ومدّت يدها، كانت يدا حقيقية لكنها للأسف لم تكن يدك، لأنك لم تكن إلا وهماً بلا مادة، وحلما دون واقع. أما الصورة التي أرسلتها له، فكانت ليدها ويد خطيبها القادم من الجنة، وفي إصبعيهما خاتمان من الذهب، يربطهما شريط أحمر واقعي وملموس، ليس كشريط صاحبنا المصنوع من السراب.

خدعةٌ بصريةٌ

في الثامنة صباحا، حصة مدتها ساعتان في مادة علوم الحياة. وأنا أدخل القسم وعيناي شبه نائمتين، جلست في الطاولة التانية قبالة الأستاذ، كان في انتظارنا درس التوالد، سيشرحه لنا معلمنا الطاعن في العمر والصحة؛ باهت البشرة، الذي تشرق عيناه بصفرة غامقة، ذو الظهر المقوس، لدرجة لو أضفنا إليه ثلاث نسخ منه لاستطعنا تشكيل دائرة.

رسم لنا على السبورة حيوانا منويا، وقال: هكذا يكون كل واحد منا في البداية، مجرد حيوان منوي من بين ملايين آخرين في سباق نحو تخصيب البويضة. وفي تلك الفترة بالذات، بدأت أتخيله هو بهيئته حيوانا منويا، يتحرك ويصرخ، ويستدير إلى السبورة يرسم ويحذف، ثم يستدير مجددا، يمسح على وجهه، ويرتمي على كرسيه من التعب، ثم يعود إلى الشرح، ولم أفق إلى نفسي حتى شعرت برغبة جامحة في الضحك، قاومتها بصعوبة كبيرة.

وحينما انتهت الحصة، خرجت مسرعا، وفي طريقي إلى المنزل لم أتوقف عن الضحك؛ إذ لازمني ذلك الخيال كل الطريق، كل الطريق وأنا أتخيل أستاذي حيوانا منويا، يتكلم ويكتب، يسعل ويلهث، وينفعل بجميع الانفعالات في فترة وجيزة. إنه تصور مضحك بحق! وصلت إلى دارنا، لم تزل مرتسمة على وجهي ابتسامة حية، خلّفها ذلك الجو المفعم بالضحك التخيّلي، وحينما جلست في الصالة، كانت أمي تبدو لي غير عادية، في حركاتها خفة استثنائية، وفي وجنتيها نوع من الحمرة، كما عيناها لا تستقر في وجهي. اندفعت أسألها:

– أمي، تخفين شيئا، اخبريني ماذا يحدث؟

زاد سؤالي من حمرة وجهها، فقالت لي مضطربة: أنا حامل، ستحظى بأخ أو أخت، لا أعلم.

وحينما سمعت الخبر فرحت كثيرا، سيكون لي أخ بعد سبع عشرة سنة عشتها وحيدا. إنه الآن مجرد مُضغة من لحم بدون معالم، لكن

بعد بضع سنوات، سيصبح مثلنا تماما؛ يبكي ويضحك، ويغضب ويخطئ ويتعلم، ربما سيكون معلما أو طبيبا..، لكن في كل الأحوال سيصبح كائنا معقدا أشدّ التعقيد، وها أنا أتخيله بالغا قبل أن تستقل حتى أعضائه داخل رحم أمي، وأضحك مستغربا بيني وبين نفسي: ما أعجبك أيها الإنسان! حقا، ما أغربك! كأنك وهم بصري، تخدعنا بفعل الزمن والروتين، أما حقيقتك أغمض من الثقوب السوداء.

وَهمُ الظِلِ

كان كبير يمشي في الشارع بقامته المنتصبة وزيه الرسمي، يتأمل يزهو ظله المنساب على الأرض تحت شمس الصباح المتألقة، لكن فجأة مر من جانبه شاب بخطوات سريعة، فداس له على ظله دون أن يدري. غضب كبير غضبا شديدا، حتى أضحت سحنته كقدح مليء بالشر، وحينما وصل إلى منزله، ضرب بيده الحائط صارخا: من هو ليفعل ذلك؟ ألا يعرف من أكون؟ أنا السيد المحترم الذي يعرفني كل الناس بأخلاقي، أنا يَفعل بي شاب مثل هذا! سأريه من أكون. لم تفهم زوجته ولا أبناؤه ماذا حدث معه، ذلك ما بدا في ملامحهم حينما كان يصرخ ويتشنج ككلب مسعور. لازمته هذه الحالة يوما بالتمام والكمال، حتى وهو يمارس الجنس مع زوجته ليلا، كان يتفوه بغيظ: كلب! لا يعرف من أنا!

وفي صباح الغد، وقف في نفس الشارع المنحوس، كان ينتظر ذلك الشاب وقلبه يحترق من الغضب؛ لأنه لم يكن ليسمح أن

يهان بهذه الطريقة دون أن يسترجع حقّه، وبينما هو مستغرق بذاكرته في واقعة الأمس، مرّ الشاب بسرعة، كأنه يجري ماشيا، انتبه له كبير، ثم تبعه مسرعا، وطول الطريق لم يجد لحظة ليتوقف عنده وينتقم، تبعه طويلا، وفي الهنيهة التي توقفا فيها، كانت الشمس قد غربت، وآنذاك انتبه كبير إلى الأرض فوجدها خالية من الظلال، وبذهول حملق في وجه ذلك الشاب، ثم أطلق عليه نظرات من الحقد، ليعود من حيث أتى تاركا إياه في حالة من الاستفهام والتعجب.

حُبان من أولِ نظرةِ

أثناء ليلة هادئة في إحدى حانات باريس المشهورة، التقت عيناه بعينيها بعد نظرة متأملة قصدت مؤخرتها المتكورة داخل فستان أبيض ضيق ومرّت صاعدةً إلى صدرِها النافر، متجاوزة إياه إلى فمِها الأحمر مثل حبة كرز، قال لها وهو يحملق في وجهها: أحببتك من أول نظرة، فابتسمت وقالت: واو عجيب أحسست أنني أحبُّك أنا الأخرى، هل هذا هو الحب من أول نظرة؟ قال بنبرة دهشة: نعم! نعم! هذا هو الحب من أول نظرة! فأمسك بيدها وقبّلها، ثم ضمها تحت ذراعه، واندفعا معا خارجَ الحانة بخطوات سريعة توحي بالنشوة. بعد خمس دقائق على متن السيارة وصلا إلى شاطئ يعكس وجه القمر، قصداه كطفلين تملأ وجههما الدهشة، ثم قال: هذا أسعد يوم في حياتي، فقالت هي: في حياتنا يا حبيبي.

بعد أسبوع من التسكُّع رفقة بعضهما البعض، والحضور في جلّ الحفلات المنظمة بالمدينة، قررا أخيرا أن يتزوجا، فأخبرا عائلتيهما، ولم تمض يومان حتى كان خاتمُ الزواج في يد كل منهما.

مرت سنة من السعادة والجنس والحب، تُوجت بولادة طفلة صغيرة أسعدتهما أكثر مما كانا عليه من سعادة، لكن مع مرور أيام السنة الثانية، بدأ يتسرب إلى حياتهما طاعون الملل الفتَّاك، وبدأت الكلمات المتغزلة تترك مكانها للقسوة والوقاحة، وعاد الزّوجُ من جديد إلى حالة الفراغ التي كان عليها قبل لقاء أم ابنته. فلم يعد يشعر اتجاهها بشيء، وأكثر من ذلك، لم يعد يستشعر حتى وجودها بجواره.

وفي ليلة ملتهبة، اشتعل صراع حار بينهما، دفعه إلى الخروج من المنزل، للقاء أصدقائه في نفس الحانة حيث وقع في حبها. دخل مسرعا، وطلب كأس نبيذ، ثم اتخذ مقعدا جانب أصحابه، دون أن ينطق بحرف واحد، وحينما وُضع الكأس أمامه تجرعه

دفعة واحدة حتى انقلبت ملامحه من اليأس إلى نشوة نعسانة، وبعد حين انتفض واقفا يبحث بعينيه عن شيء ما! يبدو أنه وجده أخيرا! وها هو لمحَ امرأةً ذاتَ جسمٍ رشيقٍ كالحوريةِ، فصعد بنظراته المعتادة متدرجا من الأرداف إلى الصدر، إلى الشفتين، حتّى التقتِ العينان بالعينين فحدث الحبُ من أول نظرة، لكن رفقة انتصاب طفيف!

خدعتُ نَفسي

هذه الليلة، ليلتي الحقيقية الوحيدة، وعدتُني بالاعتراف بكل ما أخفيه عني، سئمت الكذب والخداع، وهل أخدع أحدا آخر سوى أنا؟ هيا أطفئ المصباح، وارتمي على سريرك وقل كلَّ شيء، لا تحاول الهروب كما كنت تفعل لمدة ثلاثين سنة متواصلة.

وانا أخاطبني بلهجة بوليسية صارمة، ارتميت في سريري، والظلام يبتلع كلَّ شيء في الغرفة، إلا أنا ونفسي وجها لوجه، وأولُ سر بُحت به كان مؤلما جدا؛ لأول مرة اعترفت لنفسي وقلت أنني لم أحب طليقتي يوما ما، وكل القصائد التي ابتدعتها متغزلا بها، لم تكن سوى رغبة جنسية مستترة، كنت مكظوما؛ لذلك قررت الزواج لإشباع غريزتي إشباعا يباركه المجتمع، لكن أشد ما يؤلمني حتى يكاد يسقطني أرضا هو أنني أنجبت طفلا! كائنا بشريا سعيش سبعين عاما على الأقل! وأكثر من ذلك حرمته من إحساس الأبوة.

قبل الزواج، لم أكشف لي عن رغبتي الحقيقية، بل حجبتها بأكوامٍ كثيرة من قصائد الغزل والخيالات العذرية، وها أنا الآن أقولها بصراحةٍ صدمتْني، تزوجتُها لسبب وحيد وهو تفريغ شهوتي الجنسية في شرعية دينية تريح ضميري وتهنئ بالي من سوء السمعة الاجتماعية. وأمَّا السر الآخر، فأيضا بيني وبين طليقتي التي أوهمتها بالعشق حتى باتت تعبدني حُبّا، وماذا بعد ذلك؟ مللتُ من نفس الطبق. إنني وللحقِّ أقول، لم أكن أراها إلا كوجبة طعامٍ دسمة تُقدَّم لي كل ليلة على الفراش حتى سئمت منها وسيطرت علي رغبة في تغيير الطبق بطبق آخر، وهكذا بدأت أفتعل المشاكل بيننا، وأعاملها بكل برود وتجاهل، حتى جعلتُها تصاب بالحيرة والشك، وفي الأخير وجدتُ أعذارا لأبين للنَّاس أنني أحببتها، لكن هي من تركتني وليس العكس، مع العلم أنَّ هذا العكس هو الصحيح، وها أنا أقوله لي وقطراتُ العرق باردةٌ تتزحلق على جبيني، كأنَّني لأول مرة أعرف ذلك.

إنّها ليلة تاريخ يا سادة، ليلة إزاحة القناع عن وجهٍ قبيحٍ جدّا، وجهٌ صدمني كأنّه وجهُ رجلٍ آخرَ لا أعرفُه!

حُبٌ أم وَهمٌ؟

جالسان على مقعد خشبي أمام بحر ثائر، رأسُها على كتفه، ورأسُه على رأسها، يحيط خصرها بذراعه اليمنى، وتحيطه بذراعها اليسرى، كان الجو عاصفا، والأضواء خافتة جدا إلى حد يقرب سواد الظلمة، قال لها بصوت عميق هادئ: حبيبتي تختلجني لحظات أشعر فيها برغبة في تجاوز جسدك إلى شيء أخر فيك، أشعر بنفسي منجذبا إلى هذا الشيء الذي في داخلك. لم أجد له إسما أصفه به، لكن يا حبيبتي هو شعور مضني، بسبب أنه مستحيل. ويشعرني بعبء الجسد وقيوده.

هزت رأسها تتأمل في عينيه الحزينتين وقبلّت شفتيه تقول: يراودني نفس الإحساس يا حبيبي وما أثقله علي، إنه يناديني من مكان ما تحت صدري جاذبا كل طاقتي إلى نفس المكان من جسمك، ولكن كيف السبيل يا حبيبي، كيف سيتحد جوهرانا، والجسد مقيدني ومقيدك. إنها تجربة ميتافيزيقية مُرّة نعيشها معا،

كيف سأصل إلى لبّك، حتى العناق العميق، حينما تحضنني، وبقوة تعتصرني وتجذبني إليك، لا أستطيع أن أعبر إلى ذلك المكان. قالت جملتها الأخيرة بحسرة مريرة، ثم قفزت دمعة من عينها بلّلت يده النحيلة التي كانت ترتعد من البرد، فرفعها إلى رأسها يداعب خصلات شعرها وقبّل جبينها، ثم قال: حينما أعتصرك وأجذبك إلي فتلتصقين بي بشدة، أكون مؤمنا أن من الممكن أن أعبر إليك، يحدث ذلك بفعل قوة هائلة تدفعني إليك، كأننا يوما من الأيام سنتّحد بالفعل، لكن كل مرة نفشل في ذلك يا حبيبتي.

أنهى حديثه الحزين، واحتضن حبيبته بشدة، فانكمشت في حضنه كرضيعة في صدر أمها، والدموع تتسلل نازلة على خديهما، كان الصمت مطلقا، كأن الكون بكامله يعزيهما عن ثقل ما يشعران به، حتى البحر الثائر، هدّأ من روعه حينما تسرّب إليه عذابها.

اليأسُ المبكرُ

أين أيام زمان؟ حينما كانت المقاهي تمتلئ بالعجائز المتقاعدين ذوي الشوارب البيضاء الكثيفة، والبطون البارزة، وأحذية القمقم، وحيث كانت تحاط مائدة واحدة بخمسة أو ستة رجال يلعبون البوكر، وحينما كنا نرى بعض المثقفين تختبئ وجوههم خلف الجريدة، يتفحصون آخر أخبار الدنيا.

مرت بخاطره هذه الذكرى، وهو في المقهى يراها تنفجر بالشباب الشاحبين، وكل واحد منهم غائب في عالمه الافتراضي، لا هزار، ولا نقاش ولا حتى كلام، أي كلام.

لم يفهم صاحبنا سر هذا التحول العجيب؛ إذ لم يعد يلمح أي لمعان في العيون أو أي ملامح في وجوه هؤلاء الشباب تعبر عن الحيوية والتدفق والشغف، عجائز في أجساد عشرينية، وأجساد عشرينية ذُهنية كأنها أجسام سبعينية.

وفي خِضم هذا الإبصار المرعب، شعر بالخوف حتى اهتز جسده وارتعدت يده اليمنى، بدا الأمر خطيرا جدا، أخطر من الخطر نفسه، بالنسبة لرجل حساس، عاش حياة متدفقة المشاعر، غزيرة التجارب، لم يمر يوما من أيامه إلا وهو حالم طموح، ينصب أمام عينيه هدفا يريد تحقيقه، أو شجاع مغامر، يحقق ما نصب أمام عينيه من أحلام، دون أن يهاب شيئا حتى القدر نفسه، كان شابا مقداما يرتمي في البحر، ولا يهاب الأمواج، يجرب كل شيء بدون أحكام مسبقة، طاقة خلاقة أبدعت روايات عظيمة وقصائد تفور بالقوة والإحساس، نعم كانت هذه الظاهرة أشد إيلاما به، لأنه وفي جلسة واحدة رأى انحطاط الحياة، وما سرُّ الحياة سوى ذلك الفوار والغليان الذي يسري في عروق الشباب، وذلك اللهيب والتدفق الذي يجري في عواطفهم؟ هكذا تساءل صاحبنا الأديب بوجه لامع وعينين براقتين بالحيرة ورأس منخفض إلى الأرض، ثم قام منتصبا وغادر المكان بأسف شديد، تاركا رؤوس الشباب منحنية على الهواتف، منهم من يلعب فري فاير، ومنهم

من يتجول في مواقع التواصل، ورغم اختلاف وسائل قتل النفس والزمن، كانوا كلهم يتشاركون في سمة خطيرة، حديثة العهد، سماها صاحبنا الأديب: "اليأس المبكر".

في ليلةِ الكلاسيكُو

كرة عند يامال، يامال يتقدم، يامال يراوغ، يتوغل والهدف، يا له من هدف! اهتزت المقهى بالصراخ، بالحماس، ماذا حدث؟ سجلت برشلونة. هل هذا يستحق كل هذا الانفعال؟ كان منير مندهشا، يتأمل في وجوه الجالسين، وهي ترتدي انتباها وحماسا شديدين، متماهية مع أجواء المباراة. بدت له الظاهرة غير طبيعية، فانحنى برأسه يفكر، والمعلق يصرخ ويتشنج، لكن ذلك لم يمنع تساؤلا جوهريا من زيارة عقله: أليس سبب هذه الأحاسيس الحادة المجنونة هو الفراغ العاطفي الوجودي؟ لنفترض لو وجد شخص من هؤلاء المبحلقين في الشاشة معنى صادقا يحيى من أجله، كأن تحبه امرأة حبا صادقاً، أو أن يعمل عملا يهواه ويبدع فيه، هل كنا سنجده هنا يتشنج ويقلب الطاولات، ويصرخ ويتعارك مع من يشجعون الغريم؟ هرش منير رأسه من جديد، ثم أجاب نفسه: ربما الناس يخلقون الأوهام عندما لا يجدون حقائق يحيون من أجلها، وتنهمر دموعهم سواء من الفرح أو الحزن بسببها. إن الانتماء بجميع أشكاله وهم بديل للحقيقة التي لم

يجدها الإنسان، الانتماء لفريق، لوطن، لعرق، لديانة، لحزب، لإيديولجيا... كل هذه الانتماءات أوهام. هكذا أجاب عقله عن سؤاله، لكن سرعان ما باغته بسؤال آخر: قل لنا يا سيدي هل يوجد انتماء حقيقي لا وهم فيه؟ هنا توسعت حدقتا منير كحيوان مفترس رمق فريسته في وضعية حلوة، وأجاب بانتصار: نعم! الإنسانيةُ! هذه الكلمة كانت فريسته، ويا كلمة ما أعلى شأنها في وجدان هذا الشاب الذي يحمل في قلبه حبا جزيلا لكل إنسان.

انسدل ستار الأفكار، بعدما توقف عقله عن طرح التساؤلات، فلبث يشاهد المباراة، ويراقب الجالسين، ثم يرشف من قهوته المرة، ولمدة ثلاثين دقيقة وهو يتدحرج بين هذه الأفعال، يشاهد التلفاز، فيُدير رأسه ليحملق في الناس، ثم يرشف من كأسه، حتى انتهت اللعبة، فهم بالخروج.

كان الجو باردا جدا، والساعة أقرب إلى منتصف الليل، تحت السماء السوداء، والمصابيح الخجولة، وفي الشارع الصامت،

يمشي ويداه في جيبي سرواله، بينما يتردد صوت موسيقي داخل رأسه، كأنه يسمعه بأذنيه: الإنسانية، الإنسانيةُ يا إنسان.

هذه الكلمة التي تنير أرجاء العقل والقلب، هي كلّ ما فاز به منير من جلوسه في المقهى لمشاهدة الكلاسيكو، بينما فاز مشجعو برشلونة بوهم الفوز، واغتنم مشجعو ريال مدريد فرصة خادعة لتفريغ غضبهم ذي المنبع العميق، المتجذر في أعماق نفوسهم.

...انتهت...

الفهرس

توفيق الخداع ص10

وهم وواقع ص16

خدعة بصرية ص21

وهم الظل........................ ص26

حبان من أول نظرة ص30

خدعت نفسي ص35

حب أم وهم؟ ص40

اليأس المبكر.............................. ص44

في ليلة الكلاسيكو............................ ص49

CPEC-ENSF

Lis, Comprend, Crée

إدريس عامر

الفن السّجين داخل زنزانة الورق ليس بفن؛ إنه نوع من الدغدغة العاطفية التي لا تتجاوز الإفرازات الهرمونية، ولا تتوغل في طبيعة العالم. إنّ الأدب كفن جدير بالتقدير، ليس إلا وسيلة لإثارة التساؤلات المتجذرة في صلب الحياة في مختلف أبعادها، أما خلاف ذلك فهي مجرد حرفة كما سمّاها المفكر المصري "سلامة موسى"؛ والفن ما هو بحرفة.

خِداعٌ وأَوهامٌ

2025